اميركا في الهند الصينية

قرر جونسون توسيع الحرب لإنهائها بسرعة .. (!)
لكن هجوم الربيع الثوري أودى بسياسة الحرب المحلية كما أودى بسياسة الحرب الخاصة

وقد صعدت الولايات المتحدة حربها الجوية في سنة ١٩٦٨ ، خاصة ضد سهل الجرار المحرر . وتشرد اكثر من نصف سكان البلاد من اراضيهم وتحولوا الى لاجئين في حزام المستوطنات الخاص الذي انشاه الاميركيون حول المدن والقواعد العسكرية — كما فعلوا في جنوب فيتنام — ليكون « الحزام الجماهيري الواقي » المفروض ان يكون اول من يتلقى هجمات الثوار ...

ولم يكن تركيز القاذفات الاميركية على سهل الجرار لاهميته كمنطقة محررة في لاوس فحسب ، بل لاهميته الحيوية بالنسبة للثورة في الجنوب . فقد كان طريق « هوشي منه » الشهير يمر عبر سهل الجرار ، تنقل القوافل عبره ، المؤن والتزويدات من الشمال الى الثورة في الجنوب . ولهذا صممت الولايات المتحدة على اشباعه بالقصف وتدميره ، واحتلال السهل الاستراتيجي كضرورة عسكرية لخنق الثورة الفيتنامية في الجنوب . ولكن كافة محاولاتها باحتلال السهل كانت تخيب امام مقاومة جيش التحرير الشعبي ، حتى سنة ١٩٦٩ .

فابتداء من اذار ١٩٦٩ انطلقت الطائرات الاميركية والقوات العميلة في محاولة اخرى لاحتلال السهل ، ورغم المقاومة العنيفة التي صمدت حوالي ٧ اشهر ، انتهت العملية في ٢٠ تشرين الاول من العام نفسه بسقوط سهل الجلال تحت الاحتلال الاميركي . في الواقع كان هذا اول انتصار هام تحققه الولايات المتحدة في الهند — الصينية . وازاء الهزائم الاميركية المتراكمة في جنوب فيتنام ، وجدت الادارة الاميركية في احتلال سهل الجرار عملية يمكن المفاخرة بها لرفع المعنويات المنهارة . وكان هذا هو الدافع الذي حمل ادارة جونسون على الاعتراف في النهاية بـ « حربها السرية » في لاوس . ولكن هذا التفاؤل الاميركي ما لبث ان زال ، ولم تدم « سعادة » الادارة الاميركية اكثر من عدة اشهر قبل ان يجهض البانيت لاو هذا الانتصار الاميركي .

اذ بعد مضي اربعة اشهر على احتلال السهل الاستراتيجي شن جيش التحرير الشعبي اللاوسي هجومه المضاد في العاشر من شباط ١٩٧٠. كان الهجوم بمثابة عملية صاعقة . وفي خلال اربعة عشر يوما تمكنوا من تحرير سهل الجرار مرة اخرى كانت هزيمة اميركية نكراء . فقد احتاجت الولايات المتحدة والقوات العميلة ، الى سبعة اشهر لاحتلاله . ولكن القوات الثورية لم تحتاج الى اكثر من اسبوعين بالتحديد ، لتحريره واستعادة سيطرتها عليه !

وقد كان هذا الانتصار الثوري في سهل الجرار بمثابة اعلان افلاس الخطط الاميركية الاسيوية للاوس ولما كانت القيادة الاميركية تامل منها على شكل دعم لحربها العدوانية في جنوب فيتنام . وقد اصدرت قيادة الجبهة الوطنية اللاوسية على اثر ذلك الانتصار برنامجا من خمس نقاط لانهاء الحرب في لاوس ، مستندة الى ما نصت عليه اتفاقيات جنيف لسنة ١٩٥٤ بشان لاوس والى حقائق الوضع القائم انذاك في البلاد ، تؤكد استقلال ، وسيادة وحياد ووحدة لاوس ، وتضامنها مع فيتنام وكمبوديا . ولكن كما كان متوقعا ، فان الولايات المتحدة اصرت على تجاهل هذه المبادرة ، وكانعلى شعب لاوس بطلائعه الوطنية الثورية ان يواصل النضال ويساهم في الهزيمة العسكرية النهائية للامبريالية الاميركية في الهند — الصينية . فقد ابدت واشنطن اصرارها على مواصلة البحث عن سبل تحقق بها الانتصار العسكري ، الذي ظل بعيدا عن متناول يدها .

● مبدا نيكسون الاسيوي الجديد .

وعلى اثر الهزيمة المنكرة التي منيت بها القوات الاميركية والقوات العميلة خلال هجوم ربيع ١٩٦٨ بدات الادارة الاميركية تدرك ، وقد اشتدت المعارضة للحرب في اميركا وازدادت نسبة الخسائر الاميركية في المعارك، بان عليها ان تجد طريقا لتخفيض حجم قواتها المحاربة هناك دون ان يؤثر ذلك على قدراتها العسكرية . وقد اضطر الرئيس جونسون الى الرضوخ لمشاركة جبهة التحرير الوطني لجنوب فيتنام في مفاوضات باريس التمهيدية التي بدات في ايار ، ١٩٦٨ . وكان هذا الرضوخ بالاضافة الى وقف قصف فيتنام الديمقراطية ، واعلان عزوفه عن ترشيح نفسه مرة اخرى لانتخابات الرئاسة ، بمثابة اعلان للهزيمة ، لانه كان فيها ما هو بمثابة نفي او تعديل كبير ، في الافتراضات التي حكمت سياسة الولايات المتحدة الاميركية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ...

وفي حزيران ١٩٦٨ اعلنت جبهة التحرير الوطني تشكيل الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام ...

وهذا الوضع انذاك بهزائم الولايات المتحدة المتراكمة ، هو الذي يفسر « مبدا نيكسون » الاسيوي ، الذي لم ينقض بالطبع السياسة الامبريالية الاميركية القائمة منذ ولاية ترومان ، بل كان مجرد تغيير في التكتيكات امام ظروف تاريخية جديدة . لهذا فعندما اعلن نيكسون في ٢٥ تموز ، ١٩٦٩ السياسة الاسيوية الجديدة للولايات المتحدة في جزيرة غوام ، انها كانت مجرد تعبير للسياسة الخارجية للامبريالية الاميركية ، المتكيفة في الحقائق الدولية في حينه . ولكنه لم يكن ينوي قط التراجع عن مواصلة الحرب العدوانية الاميركية في الهند — الصينية . بل بالعكس كان ينوي اطالة هذه الحرب بامل تجاوز الهزائم وتحقيق مواقع قوة تمكنه من فرض شروط السلام الاميركي الذي وعد به خلال حملته الانتخابية .

فقد اعلن نيكسون مبداه القائل بان الولايات المتحدة ستدعم البلدان الاسيوية في جهودها للمحافظة على النظام والامن الدوليين طالما ان هذه البلدان تتحمل المسؤوليات الرئيسية ... وعليها بدرجة متناهية ان تاخذ على عاتقها تحمل التضحيات التي تتطلبها حاجاتهم الدفاعية ...وحينما تتطور ثورة، فان الولاياتالمتحدة ستقوم بالتزويد بالمساعدات العسكرية والتقنية اذا اعتبرت ان الوضع يستحق تدخلها في شكل من الاشكال ، ولكنها لن تزودها بقواتها العسكرية ... اما اذا كان الامر يتعلق بغزو عبر خط حدود غيرمحدد فان الولايات المتحدة لن تعتبر نفسها ملزمة بالسياسةالعامة القائلة بتجنب المشاركة المباشرة في القتال ...

ان مبدا نيكسون الاسيوي جاء نتيجة للهزائم والخيبات التي منيتبها الولايات المتحدة في الهند الصينية ، وفي غيرها من مناطق العالم . كان انعكاس لعلاقات القوى الجديدة التي كانت تتحول يوميا لغير صالح الامبرياليين الاميركيين ، ويمثل المسعى اليائس للخروج من وضع الهزيمة، ولكن نيكسون كان يامل باعادة تعديل كفة الميزان لصالح الولايات المتحدة. وامتاز عن سلفه جونسون بانهلم يرث عنه سياسته بالتصعيد المضطرد لحجم القوات الاميركية في جنوب فيتنام ، والتي استثارت ردود فعل عنيفة من قطاعات واسعة من الشعب الاميركي . فقد قرر نيكسون تصعيد الحرب ، ولكن بوسائل اخرى : بسحب القوات الاميركية المقاتلة ، والاستخدام اللامحدود للقوة الجوية الاميركية . فهذا التصعيد يعطينتيجة افضل على صعيد التدمير والقتل ، ولكنه يخفض في الوقت نفسه ، والى حد كبير ، نسبة الضحايا الاميركيين ، وبالتالي يسكن الجبهة الداخلية ، في الوقت الذي يشن فيه حربا بربرية ، سعيا وراء الهدف نفسه .

في هذا الوقت كانت قد توسعت مفاوضات باريس من اجل السلام في فيتنام ، وقد انضمت اليها سايفون وجبهة التحرير الوطنية لجنوب فيتنام. وبدا نيكسون بتخفيض حجم القوات الاميركية في فيتنام ، واستمرتالعملية حتى ايار ١٩٧١ . وفي شهر تشرين الثاني ١٩٦٩ اعلن « برنامج فيتنمة » الحرب بتحويل كافة المهمات القتالية الى القوات الفيتنامية الجنوبية تدريجيا . وكان العالم انذاك يقف مذهولا امام ما كان يكشف عنه النقاب، من جرائم الحرب الاميركية هناك ، خاصة مذبحة « ماي لاي » ، التي قام بتنفيذها جنود اميركيون ضد مدنيين ، من اطفال ونساء وشيوخ ، في سنة ١٩٦٨ . ولم تكن تلك المذبحة سوى صورة نموذجية للممارسات البربرية الاميركية ضد شعب جنوب فيتنام ، وكشف النقاب عنها لا يجعلها فريدة من نوعها ، وشذوذا عن القاعدة في سلوك القوات الاميركية هناك.

● فيتنمة الحرب :

وبذلك كان برنامج نيكسون لفيتنمة الحرب تطبيقا لمبدئه الجديد .

فالحرب ستصبح اقل كلفة في الارواح الاميركية وفي الاموال ، وتخفف بالتالي عن كاهله عبء المعارضة في الداخل . واستقدام قوات المرتزقة من تايلاند وكوريا الجنوبية لتعبئة فراغ ما تم سحبه من قوات اميركية سيعطي هؤلاء فرصة التدرب على مكافحة حرب العصابات الثورية ، بينما سيكون في استطاعة القيادة الاميركية الاستخدام المطلق للقوة الناريةالجوية الاميركية .

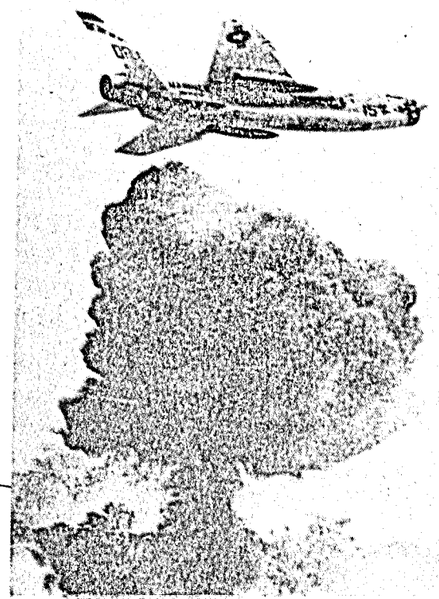

وباشر البنتاغون في تنفيذ برنامج الفيتنمة باعداد القوات المحلية العميلة الاعداد اللازم لعملية نقل مهمات الحرب ضد الثورة عن كاهل القوات الاميركية الى كاهل هذه القوات الحكومية ، على ان تواصل واشنطن تمويل هذه الحرب بالتفويض ، بتزويد الدولارات والاسلحة اللازمة ، والقيادات التكتيكية والاستراتيجية ، وبتوفير الطائراتوالحاملات التي هي اساس هذه القوة النارية الجوية الاميركية .

وبذلك لم تكن سياسة الفيتنمة تعني الانسحاب الاميركي الكامل للقوات ، التي ابقى عليها نيكسون بالحجم اللازم لرعاية وحماية القواعد الاميركية هناك ، وكعنصر ضغط مستمر على مفاوضات السلام الجاريه . كما انها لم تكن تعني نهاية المذابح والدمار ، بل تصعيدا واضح الملامح في الواقع للحرب الاميركية الشرسة ضد السكان المدنيين الذين اصبحوا هدف هذه الحرب التكنولوجية التي بدا نيكسون يطبقها بواسطة افتك ما انتجه العلم الاميركي من وسائل وادوات القتل والدمار — من وسائل حرب الابادةالتي تشنها الامبريالية الفالتة من عقالها .

وقد اتخذ هذا التصعيد بعدا اضافيا اكثر خطورة لانه يلجا الى مثل اساليب الابادة هذه ، ضد المجتمع الهند — الصيني بكامله ، من دون تمييز . فقد عكس النية الشرسة المجرمة في مسح المدن والقرى في حرق الارض وتخريب البيئة ، بتدمير المواشي وحرق النبات والاشجار وتلويث المياه والهواء **باختصار كانت حرب ضد الحياة في الهند — الصينية.**

لقد تحولت هذه المنطقة المنتجة والمصدرة للارز الى منطقة مستوردة للارز، على سبيل المثال . وهناك مناطق فيتنامية شاسعة لن تستطيع اعادة العطاء قبل سنوات طويلة بفعل الاسلحة الكيمائية الاميركية التي استخدمت ضدها . فلان حرب العصابات الثورية لا يمكن ان تقوم وتستمر وتنمو دون جماهير السكان ، وجدت الولايات المتحدة في سعيها المتواصل المتعنت لسحق هذه الثورة ان عليها ان تحطم مادتها الاساسية — جماهيرالسكان. اذ لم تكن سياسة عدم التمييز بين المقاتل والمدني مجرد تجاهل مجرم ، بل سياسة متعمدة .

ومع ذلك فقد ظلت القوات الاميركية والقوات العميلة في موقع الدفاع ، وفشل هذا التصعيد البربري في استيلائهم على المبادرة .وتميزت تلك المرحلة من الحرب بغياب الجبهات القتالية التقليدية . فالاميركيون ادركوا انه في مثل هذه الحرب ، ليس هناك مناطق يمكنهم الادعاء بانها تحت سيطرتهم . كما انهم ما كانوا يستطيعون الادعاء بان قواعدهم العسكرية نفسها هي تحت سيطرتهم فعلا . فقد اثبت هجوم الربيع الرئيسي بان القتال يمكن ان ينفجر ويقع في اي مكان وفي اية لحظة ، وزمام المبادرة هو دائما في ايدي جبهة التحرير الوطنية .

وتاكدت عزلة القوات الاميركية وتاكد وضعهم في موقع الدفاع في محيط غريب معاد وفي خطر دائم لتلقي ضربة لا يعرفون متى ومن اين . كما تاكدت اكثر فاكثر عزلة النظام السايفوني العاجز عن تثبيت سلطته حتى بسياسة الارهاب الوحيدة التي يعرف انتهاجها — على اكثرية السكان . ولهذا كان البنتاغون يامل ان هذا التصعيد من شانه ان يجعل الحياة لا تحتمل لهذه الاكثرية ، على امل تحييدها ان لم يكن استعدائها على الثورة ذات الحاجة الحيوية لاستمرار هذا الدعم وهذه المشاركة من جماهير السكان .

وقد توصل نيكسون الى القناعة بان **الجيش الاميركي الغازي العملاق صغير برغم عدده الضخم، وضعيف برغم قوته الهائلة ، وفعاليته القتالية متدنية برغم الاسلحة الاكثر حداثة في العالم التي يتزود بها .**

كما ادرك من ناحية اخرى ، بان القوات المسلحة الشعبية في الجنوببفعل تنظيمها ونوعيتها واساليبها القتالية المرنة تستطيع دائما ان تضرب من موقع القوة ، وان تزداد قوتها باستمرار خلال القتال . ولكنه وقياداته ظلوا عاجزين عن ادراك استراتيجية حرب الشعب التحريرية التي تجمع